مجلة الآداب واللغات المجلد (12) العدد(01) أفريل2026، ص.ص09-26

المشروع السيميوثقافي عند آمنة بلعلى
من سيمياء الأنساق إلى المتخيل السردي

The Semio-Cultural Project of Amina Belala:
From the Semiotics of Systems to the Narrative Imaginary

حفيظة بن مزغنة 1*

جامعة محمد البشير الإبراهيمي- برج بوعريريج

benmezghenahaffa@gmail.com

تاريخ الإرسال:2026/02/12-تاريخ القبول:2026/03/31 - تاريخ النشر :2026/04/16

الملخص:

تتناول الورقة البحثية المشروع السيميوثقافي لدى الباحثة الجزائرية آمنة بلعلى بوصفه انتقالا منهجيا من مقاربة الأنساق الثقافية إلى استكشاف المتخيل السردي، كما تبين الورقة كيف انتقلت الباحثة بمفهوم السيمياء من دراسة العلامة داخل النص إلى دراسة الخطاب بوصفه نسقا ثقافيا يعكس أنماط التفكير والتمثيل والهوية، وتوضح أيضا كيف أن المتخيل السردي يشكل مجالا تطبيقيا تتقاطع فيه السيميائيات مع النقد الثقافي بما يسمح لفهم أعمق للعلاقات النصية والذات والوعي الجمعي.

وتخلص الورقة البحثية في الأخير إلى أن مشروع آمنة بلعلى هو مشروع جاد أسهم في تجديد الأدوات المقارباتية لمختلف الأشكال التعبيرية من خطاب تراثي إلى خطاب شعري ومعه الخطاب السردي، وذلك من خلال الربط بين البنى النصية اللغوية والدلالية، وبين الرهانات الثقافية والتاريخية.

*المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: الخطاب التراثي– السيمياء– الثقافة، الأنساق– المتخيل السردي– آمنة بلعلى.

Abstract :

This paper examines the semio-cultural project of the Algerian researcher Amina Belala as a methodological shift from approaching cultural systems to exploring the narrative imaginary. It shows how the researcher moved the concept of semiotics from the study of the sign within the text to the study of discourse as a cultural system that reflects patterns of thought, representation, and identity. It also clarifies how the narrative imaginary constitutes an applied field where semiotics intersects with cultural criticism, allowing for a deeper understanding of textual relations, subjectivity, and collective consciousness.

The paper ultimately concludes that Amina Belala's project is a serious and influential one that has contributed to renewing analytical tools for various expressive forms—from heritage discourse to poetic discourse and narrative discourse—by linking linguistic and semantic textual structures with cultural and historical stakes.

Keywords:

Heritage Discourse – Semiotics – Culture – Systems – Narrative Imaginary – Amina Belâala

1– تقديم:

شهد النقد العربي المعاصر خلال العقود الأخيرة تحولا معرفيا هاما يتجه نحو توظيف مقاربات سيميائية وثقافية في قراءة الخطاب التراثي والخطاب الأدبي بمختلف أشكاله التعبيرية، فلم يعد الخطاب والنص عموما مجرد بنية لغوية مغلقة، بل أصبح خطابا تتفاعل في ثناياه الأنساق الثقافية والاجتماعية والتاريخية وحتى العقائدية.. وفي هذا السياق يندرج المشروع النقدي للباحثة آمنة بلعلى ضمن أحد أهم المشاريع النقدية الرصينة التي سعت إلى تأسيس منهج سيميوثقافي ذو مرجعية عربية يختص بمقاربة النسق اللغوي وغير اللغوي في مختلف الأشكال التعبيرية، وتجمع من خلال ذلك بين اللسانيات والنقد السيميائي والمقاربة الثقافية من جهة أخرى.

وبذلك فلقد تميز المشروع النقدي للباحثة بتصور منهجي متكامل، بداية بمقاربة الخطاب التراثي مرورا بمساءلة الشعر العربي الحديث وصولا إلى تفكيك المتخيل السردي في الرواية الجزائرية بشكل خاص، وهذا كله في سياق الاهتمام بالمرجعية المعرفية التي تشكل النسق السيميوثقافي لهاته الخطابات الثلاث، ومن جانب آخر فإن المشروع النقدي لآمنة بلعلى يشكل جزء أساسيا من النقد النسائي العربي الذي يسعى إلى زحزحة المركزية الذكورية وإعادة الاعتبار للصوت النسائي في الإبداع والنقد.

وبناء على ذلك تسعى هذه الورقة البحثية إلى مقاربة المشروع السيميوثقافي لدى الباحثة، وذلك بالتركيز على أهم ثلاث محطات معرفية مركزية تتمثل في: مدونة سيمياء الأنساق: تشكلات المعنى في الخطابات التراثية[1]، مدونة خطاب الأنساق: الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة[2]، مدونة المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف[3]، وذلك من خلال الكشف عن التقاطعات المعرفية والمنهجية بين هذه المنجزات الثلاث لمعرفة مدى تمكن الباحثة من تطويع المقاربات النقدية العربية لتتماشى مع الخصوصية العربية.

أما عن الإشكالية المحورية للورقة البحثية فإنها تتمحور حول التساؤل التالي:

إلى أي مدى تمكنت آمنة بلعلى من أن تؤسس لمشروع سيميوثقافي عربي يزاوج بين مرجعيتين معرفيتين مختلفتين تمام الاختلاف: النقد السيميائي غربي المنشأ والمصطلح، وخصوصية الخطاب ذو المرجعية الثقافية العربية من جهة أخرى؟ وإلى أي مدى أصابت في ذلك؟

كما تتفرع عن الإشكالية المحورية تساؤلات فرعية نلخصها فيم يلي:

- ماهي الآليات التي اعتمدتها الباحثة في توظيف مفهوم الأنساق لتحليل الخطاب التراثي العربي، وكيف عملت على الانتقال بالآليات ذاتها من مقاربة الخطاب التراثي مرورا بالشعر العربي

المعاصر وصولا إلى المتخيل السردي من المتماثل إلى المختلف؟ وهل اتبعت نفس المنطق المقارباتي في هذا الانتقال؟

- وفي خضم هذا كله أين يتموقع مشروع الباحثة في النقد النسائي الجزائري والعربي بشكل عام؟ وهل قدمت إضافة نوعية تحسب لها في هذا المجال؟

وبناء على الإشكالية المطروحة، تحاول الورقة الإجابة عن إمكانية الإلمام بمشروع الباحثة السيميوثقافي وإزاحة اللبس عن الأساس النظري فيه أولا، ثم محاولة الغوص في الجانب التطبيقي الذي قدمته من خلال مقاربة الخطاب التراثي، الشعري والسردي، والفروقات الجوهرية التي ميزت طرائق المعالجة في كل منها، وكل ذلك بهدف خدمة الموضوع الأساس وهو توضيح أهمية المساهمة المقدمة لبناء مشروع نقدي نسائي جزائري بشكل خاص وعربي بشكل عام.

2- النقد النسائي من الهامش إلى المركز:

يمثل النقد النسائي[4] أحد أهم التحولات المعرفية ذات القيمة والتي شهدها الفكر الإنساني مع نهاية القرن العشرين إلى مطلع القرن الحادي والعشرين وبشكل خاص بعد مدونة **الجنس الآخر** لـ سيمون دي بوفوار منتصف القرن العشرين تحديدا العام 1949 م، والذي كان نتيجة تراكم تاريخي طويل من الإقصاء الثقافي والاجتماعي الذي تعرضت له المرأة داخل مختلف البنى الرمزية والمؤسساتية[5] ولم يكن بوصفه تيارا أدبيا معزولا بل بمثابة تراكم يمكن رد جذوره الأولى إلى مدونة **دفاع عن حقوق المرأة** 1792م لمؤلفته ماري وولستونكرافت، ومن ثم؛ فإن هذا الاتجاه لم يكن ليكتفي بإعادة الاعتبار لصوت المرأة في الإبداع كما بلورته إيلين شووالتر في تنظيرها للنقد النسائي خلال السبعينيات من القرن العشرين عام 1977م، بل يذهب إلى أبعد من ذلك ليعيد مساءلة المنظومات الثقافية المنتجة للمفاهيم التي رسخت لهيمنة

الذكورة وجعلتها معيارا للشرعية المعرفية والجمالية، ولا يقل أهمية خطاب جوليا كريستيفا منذ أواخر ستينيات القرن العشرين 1969م وتوري مووي في الثمانينيات من القرن ذاته 1985م[6] حيث كانت لمساهماتهما دور هام في توسيع مجاله وتعميق وجهات النظر فيه.

هذا ويستند الخطاب النقدي النسائي إلى فكرة محورية مفادها أن الثقافة الإنسانية – في صورتها المهيمنة – بنيت على علاقة غير متكافئة بين المركز والهامش؛ حيث احتكرت السلطة الذكورية المركز ما دفع بالمرأة إلى الهامش، ولم تكن المرأة طيلة هاته الفترة إلا موضوعا للكتابة، ولم يعترف بها ذاتا كاتبة أو فاعلة في النتاج النقدي والمعرفي[7]. ومن هذا المنطلق؛ جاءت دعوى النقد النسائي إلى ضرورة إعادة النظر بنقل الاهتمام من المركز المتسلط إلى الهامش المقصي، وإتاحة المجال لتمثلات بديلة تعكس خبرة المرأة في المعرفة والإبداع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مجال النقد النسائي يمتد إلى أكثر مما تكتبه المرأة فقط، بل يشتمل أيضا طرائق تشكل الخطاب في حد ذاته، والكشف عن الأنساق الرمزية وصور الوعي الجمعي التي رسخت للنظرة الدونية للمرأة، سواء في الأدب والنقد أو في التراث الديني والاجتماعي أو حتى في الفلسفة، فهو مشروع معرفي شامل يهدف إلى تفكيك البنية العميقة للفكر السلطوي الأبوي، وإعادة النظر في المفاهيم التي جرى التعامل معها بوصفها مسلمات ثابتة أحيطت بسياج دوغمائي –على حد تعبير أركون– مثل: الهوية، الجسد، السلطة، اللغة، والعلاقة بين الذات والآخر[8].

ويتقاطع هذا التصور مع ما بلورته دراسات ما بعد الكولونيالية والنقد الثقافي المعاصر منذ سبعينيات القرن العشرين وبشكل خاص مع إدوارد سعيد 1935–2003 في مدونته **الاستشراق** عام 1978م، وغياتري تشاكرافورتي سبيفاك Gayatri Chakravorty Spivak 1942 م في مقالها الشهير **هل**

يستطيع التابع أن يتكلم؟ عام 1988م[9]، وهومي ك. بابا Homi Kharshedji Bhabha 1949م في مدونته **موقع الثقافة** سنة 1994م[10]، والذي يؤكد على أن الهامش ليس منطقة صمت أو فراغ، بل هو فضاء يمتلك القدرة على إنتاج معرفة مغايرة وخطاب بديل يزعزع أحادية المركز، ومن ثم يصبح الهامش موقعا للمقاومة وإعادة كتابة الذات لا مجرد منطقة تابعة للمركز أو ظلا له.

وفي ضوء هذا الإطار النظري، يمكن القول إن تجربة آمنة بلعلى نموذج لفاعلية المرأة الباحثة داخل الفضاء الأكاديمي النسائي العربي في مطلع القرن الحادي والعشرين؛ فهي لا تكتفي بتبني خطاب الدفاع عن المرأة، بل تتجاوز ذلك إلى بناء مشروع نقدي علمي متكامل؛ والمميز فيه أنه ينفتح على مجالات معرفية عدة يؤسس عليها لإطاره النظري ومجاله التطبيقي، فبداية من السيميائيات التي أسس لها فردينان دي سوسير Ferdinand de Saussure 1857-1913 م في محاضراته في **اللسانيات العامة** عام 1916م، ونقد الخطاب كما بلوره ميشال فوكو Michel Foucault 1926-1984 م في أعماله منذ ستينيات القرن العشرين نخص بالذكر **أركيولوجيا المعرفة** 1969 م والدراسات الثقافية لدى مدرسة برمنغهام على يد ريتشارد هوغارت Richard Hoggart 1918- 2014م وستيوارت هول Stuart Hall 1932-2014م منذ خمسينيات وستينيات القرن العشرين، ومن ثم فإن المساهمة التي قدمتها آمنة بلعلى ليست إلا تأكيدا على أن مكانة الباحثة العربية لم تعد مكانة ثانوية أو هامشية، بل أصبحت عنصرا فاعلا في صياغة التصورات النظرية وفتح آفاق البحث التطبيقي والميداني على أوسع نطاق.

إن مشروع الباحثة آمنة بلعلى يؤكد أن النقد النسوي لا ينحصر في الكتابة عن المرأة وحسب، بل يتمثل في قدرتها على التأسيس لنظرية محددة المعالم، وتشييد جهاز مفاهيمي وأدوات قراءية لها خصوصيتها تسهم في تطوير

النظرية النقدية العربية وخاصة النسائية منها، وهو ما ينسجم مع التحول الذي عرفه النقد النسائي منذ منتصف القرن العشرين تحديدا مع مدونة سيمون دي بوفوار الجنس الآخر، وبعدها التعمق النظري مع إيلين_شووالتر Elaine Showalter 1941م في سبعينيات القرن العشرين تحديدا 1977م وذلك من خلال مقارباتها للسيمياء الثقافية والمتخيل السردي. لتقدم بذلك برهانا قويا على أن المرأة ليست مجرد موضوع للتحليل وحسب؛ بل ذاتا منتجة للخطاب والمعرفة، تملك أدوات مساءلة المرجعيات وتفكيك الأنساق المحاطة بالسياجات الدوغمائية سعيا منها لتقديم بدائل منهجية جديدة.

3- النقد النسائي والمتخيل السردي:

مم تجدر الإشارة إليه أن النقد النسائي قد تجاوز بمسافات طويلة مستوى التنظير إلى ميدان التطبيق والتمثل في ثنايا المتخيل السردي بوصفه واحدا من الفضاءات الهامة التي تتجسد فيها تصورات المجتمع عن المرأة والهوية والسلطة والجسد، وبشكل خاص مع تبلور النقد النسائي الحديث كما سبق الذكر مع سيمون دي بوفوار إيلين شوالتر كما سبق الذكر، فالسرد عموما بما يمتلكه من قدرة على بناء الشخصية والخطاب وتشكيل العالم الرمزي الخاص به، يمثل دائرة مثالية للكشف عن الأنساق الثقافية التي تتحكم في صورة المرأة داخل الوعي الجمعي لأي مجتمع من المجتمعات[11]، كما تحدث ذلك ميخائيل باختين في نظريته لعلاقة السرد بالأصوات والتمثيلات الاجتماعية في ثلاثينيات القرن العشرين، وبين من خلال ذلك كيف يظهر الارتباط الوثيق بين النقد النسائي ومقاربة المتخيل السردي؛ إذ يسعى هذا النقد إلى تحليل الكيفية التي توظف بها صورة المرأة داخل النصوص، كما يسعى أيضا إلى تفكيك الدلالات والرموز والإيحاءات التي تكرس لفكرة تبعيتها أو تعيد إنتاجها في أنماط جديدة مختلفة، وهذا تحديد ما توسع فيه ميشال فوكو في نقده للخطاب الثقافي **أركيولوجيا المعرفة**[12].

ومع البدايات الأولى للقرن الواحد والعشرين ونهاية القرن العشرين كشف المتخيل السردي عن تحول معرفي جلي في جملة كبيرة من المدونات السردية العربية، والتي جسدت بحق انتقال صورة المرأة من المتماثلة في النموذج الاجتماعي التقليدي إلى شكل مغاير تماما سعت المرأة من خلاله إلى امتلاك صوتها والتعبير عن ذاتها بوصفها فاعلا في الحياة لا موضوعا للتمثيل وحسب، ولقد اتضح الأمر جليا في أعمال روائيات عربيات منذ الثمانينيات والتسعينيات، في سياق التفاعل المباشر مع النقد النسائي الغربي[13]، وفي هذه النقطة تحديدا يتقاطع النقد النسائي مع المقاربات السيميوثقافية والتي لا تنظر للمتخيل على أنه مجرد عنصر جمالي وحسب، بل بوصفه منظومة رمزية متسقة هي نتاج للسياق الثقافي الذي يتغذى من اللغوة والذاكرة الجمعية والأسطورة والواقع الاجتماعي، ولقد وضح رولان بارت هاته المسألة قفي مقاربته للأسطورة بوصفها نظاما دلاليا ثانيا في مؤلفه ميثولوجيا Mythologiesسنة 1957م، ليتوسع مع النقد الثقافي خاصة عند ستيوارت هول منذ ستينيات القرن العشرين.

وفي ضوء ما سبق، يمكن تقديم قراءة لاشتغال آمنة بلعلى على المتخيل السردي الجزائري بوصفه امتدادا حقيقيا لمشروعها السيميوثقافي في مطلع القرن الحادي والعشرين، في سياق يتقاطع مع تطور الدراسات السيميائية منذ فردينان دي سوسير ونقد الخطاب الثقافي كما أسس له ميشال فوكو[14]، فهي لا تدرس المتخيل باعتباره خزانا للصور والرموز فقط، بل بوصفه مجالا لتموضع الذات الأنثوية وإعادة تشكيل علاقتها باللغة والمجتمع والتاريخ، وذلك من خلال عملية الاستقصاء التي مارستها في رصد تحول المتخيل من المتماثل إلى المختلف لتكشف عن انتقال الرواية الجزائرية –بشكل خاص من– من تمجيد الهوية الجماعية المنغلقة إلى فتح المجال أمام هويات إبداعية متعددة ومفتوحة تسمح للمرأة بأن تعيد تقديم ذاتها خارج سلطة المركزية

الذكورية، في انسجام مع طروحات ما بعد الكولونيالية، ووفق هذا يصبح المتخيل السردي من وجهة نظر النقد النسائي فضاء رحبا لإعادة كتابة العالم، وسبيلا لتفكيك الأنساق الرمزية التي كرّست لمعتقد تبعية الأنثى وإقصائها في إنتاج المعنى[15].

4- مقاربة التراث بمنظور ثقافي:

تعد مدونة **سيمياء الأنساق: تشكلات المعنى في الخطابات التراثية** لآمنة بلعلى محطة تأسيسية في المشروع السيميوثقافي لديها في مطلع القرن الحادي والعشرين، وهو المُؤَلَّف الذي رسم الملامح الكبرى لتصورها للمقاربة النقدية التي تنظر للنص باعتباره نسيجا تتفاعل فيه شبكة من الأنساق الثقافية والمعرفية لا مادة لغوية لغوية محضة في امتدادا لمشروع سوسير وصولا إلى مشروع بارت السيميائي والثقافي.

وفي هذا، تنطلق الباحثة من فكرة أن التراث العربي ليس مجرد خزان نصي جامد، ولا مجرد مجموعة مضامين تاريخية منفصلة عن الواقع الذي أنتجه؛ بل إنه نظام من الرموز والعلامات التي تتفاعل مع مرجعياتها الثقافية والمعرفية والفكرية المتشابكة التي أنتجتها، ومم تجدر الإشارة إليه أن المقاربة التي اتبعتها في التحليل لا تقف عند حدود البنى اللفظية للنص التراثي، بل تتعداها إلى مساءلة الشروط الثقافية التي أنتجتها والمرجعيات المعرفية التي أسهمت حقيقة في تشكل الدلالة، وفي هذا تتقاطع مع مشروع نقد الخطاب الثقافي لدى ميشال لأن عملية الفهم تستدعي الانتقال من البنية اللغوية الظاهرة إلى البنية النسقية المضمرة التي تعمل على توليد الدلالة.

وتوضح الباحثة معالم المنهج النظري لديها في هذه المدونة في معنى قولها بأن تحليل العلامات والرموز ضمن سياقها الثقافي الذي أنتجها، الكشف عن البنى العميقة المنتجة للمعنى، قراءة النصوص التراثية بوصفها خطابات لا نصوصًا مغلقة[16]، وهذا تصور مبني بشكل صريح على سيميائيات سوسير

وتحليل الخطاب الثقافي لميشال فوكو كما يتقاطع أيضا مع رؤية رولان بارت السيميوثقافية إذ يقارب النص بوصفه شبكة من العلامات المرتبطة بسياقات إنتاجها التاريخية والثقافية.

بناء على ما سبق، يتضح أن المبادئ الأساسية التي يقوم عليها المشروع السيميوثقافي لآمنة بلعلى تتمثل في:

- تجاوز المقاربة الشكلية التي تضع النص داخل الحدود اللغوية المغلقة متجاوزا بذلك المقاربة البنيوية الكلاسيكية.
- الربط بين السيمياء والدراسات الثقافية للكشف عن الانساق التي تتحكم في إنتاج المعنى كما أسست له مدرسة برمنغهام مع ريتشارد هوغارت 1918–2014 مـ وستيوارت هول 1932–2014 مـ منذ ستينيات القرن العشرين؛ مع الحرص للحفاظ على المرجعية الثقافية العربية بوصفها عنصرا تأسيسيا في بناء النظرية إذ لم تعتمد النماذج النقدية الغربية بشكل جاهز، بل عملت على تكييفها من خلال نقد المركزية الغربية وإعادة الاعتبار لخصوصية السياقات الثقافية.

ومن خلال هذه المدونة، قدمت آمنة بلعلى تصورا جديدا لمقاربة الخطاب التراثي؛ تصور لا ينظر لهذا الخطاب باعتباره ماضيا مكتمل المعنى، بل بوصفه خطابا مفتوحا على الدلالة والتأويل وتتجدد دلالاته بتجدد أسئلة القارئ وتغير السياقات الثقافية عبر الأزمنة والعصور، وهو تصور يتقاطع تمام التقاطع مع ما قدمه هانس روبرت ياوس Hans Robert Jauss في نظريته للقراءة والتلقي في أواخر ستينيات القرن العشرين، والتي تبلورت كاتجاه نقدي أعاد المكانة للقارئ في انتاج الدلالة من خلال مقولات نقدية هامة لا يتسع المقام للتفصيل فيها نذكر منها تاريخ التلقي وأفق التوقع والمسافة الجمالية وغيرها.. ونخص بالذكر هنا المحاضرات التأسيسية التي قدمها عام 1967 مـ.

وبهذا تتحول سيمياء الأنساق إلى أداة منهجية فاعلة لإعادة قراءة الخطاب التراثي العربي بطريقة تسمح بفهم آليات اشتغاله الداخلي من جهة، وكشف علاقته بالسلطة والمعرفة والهوية من جهة ثانية.

5- من الخطاب التراثي إلى الخطاب الشعري:

إيمانا من الباحثة بأن الانساق المضمرة لأي ثقافة من الثقافات هي امتداد متواصل عبر الزمن وعبر التاريخ، تتجدد آلياتها بتجدد الأشكال التعبيرية، فقد انتقلت آمنة بلعلى من المقاربة السيميوثقافية للخطاب التراثي إلى مقاربة الخطاب الشعري كشكل تعبيري آخر له خصوصيته، وبشكل خاص خصصت مدونتها **خطاب الأنساق: الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة** ووضعت الشعر الحديث والمعاصر على طاولة التشريح ذاتها؛ طاولة السيمياء والأنساق الثقافية، مستمدة -كما سبق وأن فعلت- الآليات المقارباتية الغربية بمختلف مجالاتها مطوعة إياها لما يتناسب والخصوصية الثقافية العربية، معتمدة المدونات النقدية الغربية ذاتها تقريبا، ويتعلق الأمر بالسيميائيات الثقافية لرولان بارت وتحليل الخطاب لميشال فوكو.. وغيرها، وبهذا تكون الباحثة قد انتقلت من الخطاب التراثي إلى الخطاب الشعري ضمن الإطار المنهجي نفسه دون قطيعة ابستيمية بين المرحلتين، ما يعكس تصورا للثقافة بوصفها نسقا متصلا لا تراكميا تتغير آلياته وتجدد وفقا للتغير المرجعي وتجدد أشكال التعبير.

ومم تجدر الإشارة إليه فقد أسست الباحثة هاته المدونة على إشكالية محورية مفادها:

كيف ينتج الخطاب الشعري الحديث دلالاته داخل أنساق ثقافية جديدة تشكلت في ظل تحولات سياسية واجتماعية وتكنولوجية ميزت وطغت على الألفية الثالثة؟ وذلك في سياق يتقاطع مع تحليلات الثقافة المعاصرة كما بلورها ستيوارت هول Stuart Hall 1932- 2014م منذ تسعينيات القرن العشرين،

خاصة في مقارباته حول التمثيل والهوية، فالخطاب الشعري لم يعد منفصلا عن واقعه، بل صار منفتحا على فضاءات الإعلام والرقمنة والعولمة[17]، وهي فضاءات أعيد التنظير لها في الدراسات الثقافية أهمها ما قدمه مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan 1911 – 1980، في مدونته **فهم وسائل الإعلام: امتدادات الإنسان** Understanding Media The Extensions of Man عام 1964 م، ثم مع أنطوني غيدنز Anthony Giddens 1938 م في تنظيرات العولمة منذ تسعينيات القرن العشرين، وهي فضاءات تعيد تشكيل اللغة والرموز والدلالات بطرائق غير مألوفة في انسجام مع تحولات الخطاب باعتباره خطابا ثقافيا لا مجرد بنية لغوية أو موسيقية وهو امتداد لتحليل الخطاب كما بلوره ميشال فوكو في أركيولوجيا المعرفة، ولذلك عملت الباحثة على دراسة أنساق الهوية وتحولاتها بين الثابت والمتحول كما أسس لها ستيوارت هول في مؤلفاته حول الهوية والتمثيل منذ تسعينيات القرن العشرين، والرموز الثقافية التي يستدعيها الخطاب الشعري ويعيد توظيفها، وتفاعل الشعر مع الفضاء الرقمي وما يطرحه من أنماط جديدة للتلقي والكتابة كما قدمت مقاربات الإعلام الجديدة في أعمال مارشال ماكلوهان Understanding Media عام 1964م على سبيل الاستشهاد، ومعها نظريات الثقافة الرقمية منذ أواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين. وبهذا يتحول الشعر، في منظورها من خطاب جمالي صرف قائم على الوزن والصورة اللفظية، إلى خطاب ثقافي دلالي ينخرط في نقاشات الهوية والسلطة والتحول الاجتماعي[18].

وعند الانتقال إلى المقاربة التطبيقية، تبين آمنة بلعلى كيف تتجلى الأنساق الثقافية داخل النص الشعري العربي المعاصر، خاصة لدى شعراء الجيل الجديد الذين يكتبون في ظل التحولات السياسية والرقمية الراهنة منذ العقد الأول من الألفية الثالثة مع مطلع 2000 إلى يومنا هذا، فقصائد عدد من

الشعراء الجزائريين والعرب، وكذلك شعراء الجيل الرقمي في الجزائر والمغرب وتونس منذ 2011، تكشف عن حضور قوي لنسق الهوية القلقة، ونسق الاغتراب الوجودي، ونسق الاحتجاج السياسي الذي يعيد صياغة العلاقة بين الذات الفردية والفضاء الجماعي في سياق ما بعد الثورات العربية[19].

ومن خلال ذلك تؤكد آمنة بلعلى أن القصيدة المعاصرة لم تعد تكتفي بإنتاج جماليات لغوية، بل صارت حقلا لتفاعل الأنساق الثقافية: نسق السلطة والمعارضة، نسق المقدس واليومي، نسق الذكورة والأنوثة، ونسق الواقعي والافتراضي. وهو تصور يلتقي مع ما بلوره النقد الثقافي منذ أعمال ريموند وليامز Raymond Williams 1921–1988م في ستينيات القرن العشرين، ومع دراسات الخطاب لدى ميشال فوكو Michel Foucault 1926–1984 م حول العلاقة بين المعرفة والسلطة، وبذلك يغدو الشعر العربي الحديث مختبرا يكشف طبيعة التحولات الرمزية التي يشهدها المجتمع العربي في الألفية الثالثة 2000 م، وهو ما يبرر اعتماد سيمياء الأنساق أداة تحليلية قادرة على تفكيك هذه الشبكة المعقدة من العلامات والدلالات.

6–من المتماثل إلى المختلف في المتخيل السردي:

تمثل مقاربة آمنة بلعلى للمتخيل السردي في مدونتها **المتخيل في الرواية الجزائرية: من المتماثل إلى المختلف** امتدادا طبيعيا لمشروعها السيميوثقافي الذي استهلته بمقاربة الخطاب الترثي مرورا بالخطاب الشعري. ففي هذه المدونة تنتقل إلى الرواية الجزائرية بوصفها شكلا تعبيريا قادرا على احتواء تحولات المجتمع وأسئلة الوجود وتوترات الهوية منذ الاستقلال 1962 م وإلى يومنا هذا، ولقد دعت إلى اعتماد المقولات النقدية للتحليل السيميائي–الثقافي للكشف عن الأنظمة الرمزية المضمرة في العوالم السردية، وهذا ما يتقاطع مع تصور ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin 1895–1975 م حول تعدد

الأصوات في النص الواحد ومع ما قدمه بول ريكور Paul Ricoeur 1913-2005م أيضا بشأن السرد والهوية.

وفي ذلك تنطلق الباحثة من فرضية أساسية تفيد بأن المتخيل السردي في الرواية الجزائرية لم يبق ثابتا، إذ عرف نقلة نوعية من المتماثل إلى المختلف، فلقد هيمن المتخيل السردي الوطني في البدايات الأولى لمرحلة ما بعد الاستقلال والذي طغى عليه طابع الاحتفاء بالبطولات والسعي لبناء هوية موحدة، كما تصدرت الذاكرة الجمعية مشهد السرد بوصفها أساس الانتماء ومصدر الشرعية الرمزية، ولقد تجلى بوضوح في روايات المرحلة التأسيسية نذكر منها: الثلاثية الشهيرة الدار الكبيرة 1952، الحريق 1954، النول 1957، لمحمد ديب 1920 2003 وكذا ريح الجنوب 1971 لعبد الحميد بن هدوقة 1925–1996، وبهذا فالمتماثل يتجلى في: المتخيل الوطني، والذاكرة الجماعية، وخطاب الهوية الواحدة.

ومع التحولات السياسية والاجتماعية والفكرية اللاحقة، خاصة منذ نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين ومع الأزمات الاجتماعية وتغير شروط العيش، أخذت الرواية الجزائرية طريقها لتنفتح على آفاق جديدة يتقدم فيها صوت الفرد وتجربته الخاصة، حيث برز المتخيل المختلف إلى الواجهة ليعيد مساءلة الثوابت والطابوهات، للفرد حق التعبير عن خصوصيته وهواجسه. ولقد تجلى التحول النوعي في مدونات لأشهر الروائيين الجزائريين نذكر منهم: الطاهر وطار 1936–2010 م في أعماله النقدية للسلطة والذاكرة، وأحلام مستغانمي 1953م في ثلاثيتها ذاكرة الجسد 1993 فوضى الحواس 1997 وعابر سرير 2003 م، أين يتقدم الذاتي والوجداني بصفته مركزا للحبكة السردية، وبهذا فإن المتخيل المختلف يتمثل في: المتخيل الفردي، صوت المرأة بصفتها ذاتا فاعلة لا مجرد موضوع للتمثيل، بالإضافة إلى تعدد الرؤى وتفكيك الهوية الواحدية المنغلقة.

توضح آمنة بلعلى بأن هذا التحول من المتماثل إلى المختلف ليس مجرد تحول سطحي، أو أسلوبي تقني في الكتابة السردية، بل انعكاس طبيعي للتحولات التي شهدها المجتمع الجزائري والذي انتقل من مرحلة بناء الهوية الجماعية عقب الاستقلال إلى مرحلة طرح أسئلة الفرد والحرية والاختلاف في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، وبصورة أكثر حدة أثناء التسعينيات وما بعدها ليصبح المتخيل السردي تجسيدا حقيقيا لانتقال الوعي من الجمعي إلى الفردي، ومن الثابت إلى المتحول ومن اليقيني إلى الإشكالي، في تحول يتقاطع مع مقاربات علم الاجتماع الثقافي عند بيير بورديو Pierre Bourdieu 1930 2002 في سياق تحول البنى الرمزية بتغير الشروط التاريخية والاجتماعية.

وبهذا التجول من سيمياء الأنساق إلى المتخيل السردي يأخذ المشروع النقدي لآمنة بلعلى طريقه نحو النضج بين النظرية والتطبيق، مشروع يسعى إلى مقاربة الخطاب التراثي والحديث على حد سواء من منظور سيميوثقافي يضع الذات والهوية والرمز في قلب العملية التأويلية.

7- خاتمة الورقة البحثية:

في الختام يمكن القول إن: مشروع آمنة بلعلى هو مشروع علمي متدرج ومتسق ومترابط بين النظرية والتطبيق:

- يمتد المشروع من تحليل الخطاب التراثي إلى الشعر ثم الرواية ضمن إطار منهجي واحد يتمثل في سيمياء الأنساق.
- يفتح هذا المشروع أفقا واسعا نحو إمكانية بناء نموذج لمقاربة نقدية عربية معاصرة تنبني على الاتساق المعرفي والضبط المنهجي.
- مشروع آمنة بلعلى تتكامل فيه الموضوعات والأدوات ضمن رؤية منهجية واضحة، أساسها سيمياء الأنساق بوصفها الإطار الناظم

لتحليل الخطاب الأدبي والثقافي، خاصة وأنه امتد من مساءلة الخطاب التراثي إلى مقاربة الخطاب الشعري وصولا إلى تفكيك المتخيل السردي، مع المحافظة على الانسجام في الأدوات الإجرائية.

- المقاربة السيميوثقافية كما وظفتها الباحثة في إعادة إدماج السياق الثقافي والاجتماعي في إنتاج الدلالة ضمن الخطاب بمختلف أشكالها، حيث بقي السياق الثقافي مهمشا ومستبعدا في المقاربات البنيوية بشكل خاص، ولفترات متعاقبة، وبهذا لم يعد النص مجرد بنية لغوية مغلقة، بل غدا فضاء رحبا لتفاعل الأنساق الاجتماعية والتاريخية والرمزية والقيمية التي تشكل الوعي والجمعي وتمثلاته.
- كما يقدم المشروع، في مجمله أنموذجا حيا دالا على إمكانية بناء مقاربة نقدية عربية معاصرة تقوم على الضبط المنهجي والتراكم المعرفي والتبادل الفعال لا المنفعل مع المناهج الغربية دون الوقوع في الاستنساخ الكامل أو التبعية السالبة، كما يفتح آفاقا مقارباتية واعدة أمام الباحثين لتطوير أداة سيميوثقافية عربية لها القدرة على قراءة الأشكال التعبيرية بتنويعاتها التراثية والشعرية والسردية ورقية كانت أو رقمية ضمن الإطار العام للنقد المعاصر.
- وأخيرا وليس آخرا، يمثل مشروع آمنة بلعلى خطوة فعالة وبصمة واضحة ضمن النقد النسائي الجزائري بشكل خاص والعربي بشكل عام، يستحق أن يكون نقطة بداية لمشاريع بحثية أخرى في الموضوع ذاته استكمالا لبياضاته وتعزيزا لنقاط القوة فيه.

7-الهوامش والإحالات:

[1] - آمنة بلعلى. سيمياء الأنساق. تشكلات المعنى في الخطابات التراثية. ط1. دار النهضة العربية. بيروت. 2013.

[2] - آمنة بلعلى. خطاب الأنساق. الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة. ط1. الانتشار العربي. بيروت. 2014.

[3] - آمنة بلعلى. المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف. ط2. دار الأمل. تيزي وزو. الجزائر. 2011.

[4] - تتعد المصطلحات التي تشير إلى النقد الذي تقدمه المرأة بين النِّسَوي، والنِّسْوي، والنَّسَوي، والأنثوي، والنسائي.. ولقد اخترت توظيف مصطلح نسائي لتفادي الحديث عن أي حمولات مرجعية للمصطلح وكذا تفادي الأيديولوجيا التي تغلف المصطلح الغربي بشكل خاص.

[5] - ينظر: عمارني مُحَمَّد. النقد النسوي العربي. إرهاصات وتجليات. مجلة دراسات معاصرة. المركز الجامعي تيسمسيلت. الجزائر. المجلد 03. العدد 01. ص: 172.

[6] - ينظر: المرجع نفسه: ص: 172- 173.

[7] - بن زرقة مسعودة. النقد الثقافي والخطاب النسوي العربي. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. المجلد 10. العدد 04. 2021. جامعة تامنغست. الجزائر. ص: 353.

[8] - ينظر: أحمد بن بغداد. النقد النسوي من إشكالية المصطلح إلى وعي الكتابة. المجلد 08. العدد 01. 2023. مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية. جامعة المسيلة.

[9] - مجدي عز الدين حسين. ما بعد الكولونيالية إدوارد سعيد أنموذجا. مجلة تدفقات فلسفية. المجلد 02. العدد 02. مارس 2022. مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات. ص: 39 وما بعدها.

[10] - حسن الناجي. قراءة في كتاب موقع الثقافة لهومي بابا: الفضاء الثالث مدخل إلى قضية التهجين وإدانة الفكر الاستعماري. تاريخ التحديث: 2/5/ 2020. تاريخ الزيارة: 2026/02/02.
https://maarifcenter.ma/

[11] - حلمي محمود القاعود. النقد النسوي الأدبي.. خصائصه وأهدافه. مجلة الادب الإسلامي. العدد 66. 2010. تاريخ الإضافة: 2011/06/01. تاريخ الزيارة: 2026/02/04.
https://www.alukah.net/literature_language

[12] - شهرزاد توفوتي. ميخائيل باختين الناقد الثقافي: ديموقراطية الكلمة.. السرديات البديلة تأملات في المنظور ما بعد الكولونيالي. مجلة تنوير. العدد 05. مارس 2018. مجلة تنويرللدراسات الأدبية. جامعة زيان عاشور. الجلفة. ص:

[13] - شيماء لطرش. أثر المرجعية التاريخية في تشكيل المتخيل السردي الجزائري المعاصر. حفريات المعرفة. المجلد 01. العدد 02. 2021.

[14]- بالفار أسماء. المتخيل في النقد الروائي الجزائري من خلال كتاب المتخيل في الرواية الجزائرية. رسال ماجستير. إشراف معمري أحلام. جامعة قاصدي مرباح. ورقلة. 2015.

[15]- دليلة مروك. تحولات السرد في الرواية الجزائرية المعاصرة ياسمينة صالح أنموذجا. تاريخ الزيارة: 2026/02/04

https://thakafamag.com

[16]- آمنة بلعلى. سيمياء الأنساق: تشكلات المعنى في الخطابات التراثية. ط1. دار النهضة العربية. بيروت. 2013.

[17]- آمنة بلعلى. خطاب الأنساق: الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة. ص: 99.

[18]- المرجع نفسه: ص: 102.

[19]- المرجع نفسه. نفسها.